

كتاب صلاة الاستسقاء

المراد بالاستسقاء: سؤال الله تعالى أن يسقي عباده عند حاجتهم، وله أنواع. أدها: الدعاء بلا صلاة ولا خلف صلاة، فرادى أو مجتمعين لذلك، وأوسطها: الدعاء خلف الصلوات، وفي خطبة الجمعة ونحو ذلك. وأفضلها: الاستسقاء بركعتين وخطبتين. ويستوي في استحباب الاستسقاء أهل القرى والأمصار والبوادي والمسافرون، ويسن لهم جميعاً الصلاة والخطبة. ولو انقطعت المياه ولم يمس إليها حاجة في ذلك الوقت، لم يستسقوا، ولو انقطعت عن طائفة من المسلمين واحتاجت، استحب لغيرهم أن يصلوا ويستسقوا لهم، ويسألوا الزيادة لأنفسهم.

فرع

إذا استسقوا فسُقُوا، فذاك، فإن تأخرت الإجابة، استسقوا وصلوا ثانياً وثالثاً حتى يسقيهم الله تعالى. وهل يعودون من الند، أم يصومون ثلاثة أيام قبل الخروج كما يفعلون في الخروج الأول؟ قال في «المختصر»: من الند. وفي القديم: يصومون، فقيل: قولان. أظهرهما: الأول. وقيل: على حالين. فإن لم يشق على الناس، ولم ينقطعوا عن مصالحهم عادوا غداً بعد بندٍ، وإن اقتضى الحال التأخير أياماً، صاموا.

قلت: ونقل القاضي أبو الطيب عن عامة الأصحاب: أن المسألة على قول

واحد ، تقل الأزني الجواز ، والتقديم الاستحباب . والله أعلم .
ثم جماهير الأصحاب قطعوا باستحباب تكرير الاستسقاء كما ذكرنا ، لكن
الاستحباب في المرة الأولى أكد . وحكي وجه : أنهم لا يفعلون ذلك إلا مرة .

فرع

لو تأهبوا للخروج للصلاة ، فسقوا قبل موعد الخروج ، خرجوا للوعظ
والدعاء والشكر . وهل يصلون شكراً ؟ فيه طريقان . قطع الأكثرون بالصلاة ،
وهو المنصوص في « الأم » . وحكى إمام الحرمين والغزالي وجين . أصحها : هذا .
والثاني : لا يصلون . وأجري الوجهان فيما إذا لم تنقطع المياه وأرادوا أن يصلوا
للاستزادة .

فصل

في آداب هذه الصلاة

منها : أن يأمر الامام الناس بصوم ثلاثة أيام قبل يوم الخروج^(١) وبالخروج
عن المظالم في الدم والمريض والمال ، وبالتقرب إلى الله تعالى بما يستطيعون من
الخير ، ثم يخرجون في اليوم الرابع صياماً ، في ثياب بذلة ، وتخشع بلا زينة ولا
طيب ، لكن ينتظفون بالماء والسواك وقطع الرائحة الكريهة . ويستحب إخراج
الصبيان والمشايخ ، ومن لا هيئة لها من النساء ، ويستحب إخراج البهائم على

(١) وفي هامش الأصل ما نصه : وعن الروائي ، أن بعض الأصحاب خرج قولاً ، أنه لا يصوم

الأصح . وعلى الثاني : لا يستحب ، فلو أخرجت ، فلا بأس . وأما خروج أهل الذمة ، فنص الشافعي رحمه الله على كراهيته ، والنوع منه إن حضروا مستسقىً للمسلمين ، وإن تميزوا ولم يختلطوا بالمسلمين ، لم يمنعوا . وحكى الروياني وجهاً : أنهم ينعنون وإن تميزوا ، إلا أن يخرجوا في غير يوم المسلمين . ومن الآداب أن يذكر كل واحد من القوم في نفسه ما فعل من خير ، فيجمله شافِعاً .

ومنها : أن يستسقى بالأكابر وأهل الصلاح ، لاسيما أقارب رسول الله ﷺ .

فصل

السنة أن يصلبها في الصحراء ، وينادي لها : الصلاة جامعة ، ويصلي ركعتين ، يكبر في الأولى سبع تكبيرات زائدة ، وفي الثانية خمساً ، ويجهر فيها بالقراءة ، ويقرأ في الأولى بعد (الفاتحة) : (ق-) . وفي الثانية : (اقتربت) . وقال بعض الأصحاب : يقرأ في إحداها : (إنا أرسلنا نوحاً) وليكن في الثانية^(١) وفي الأولى (ق-) . ونص الشافعي رحمه : أنه يقرأ فيها ما يقرأ في العيد ، وإن قرأ (إنا أرسلنا) كان حسناً . وهذا يقتضي أن لا خلاف في المسألة ، وأن كلاً سائغ ، ومنهم من قال : في الأحب خلاف . والأصح : أنه يقرأ ما يقرأ في العيد . وأما وقت هذه الصلاة ، فقطع الشيخ أبو علي وصاحب « التهذيب » بأنه وقت صلاة العيد ، واستغرب إمام الحرمين هذا ، وذكر الروياني وآخرون : أن وقتها يبقى بعد الزوال ما لم يصل العصر ، وصرح صاحب « التتمة » بأن صلاة الاستسقاء لا تختص بوقت ، بل أي وقت صلّوها من ليل أو نهار ، جاز ، وقد قدمنا عن الأئمة وجبين في كراهة صلاة الاستسقاء في الأوقات المكروهة ، ومعلوم أن الأوقات المكروهة غير داخلة في وقت صلاة العيد ، ولا مع انضمام ما بين الزوال

(١) عبارة الرافعي في « الشرح الكبير » وتكن تلك الركعة ، هي الثانية .

والمصر إليه ، فيلزم أن لا يكون وقت الاستسقاء منحصراً في ذلك ، وليس لحامل أن يحمل الوجهين في الكراهة على قضائها ، فانها لا تقضى .
قلت : ليس بلازم ما قاله ، فقد تقدم أن الأصح : دخول وقت العيد بطولوع الشمس ، وهو وقت كراهة ، ومن قال بانحصار وقت الاستسقاء في وقت العيد ، الشيخ أبو حامد ، والحاملي ، ولكن الصحيح الذي نص عليه الشافعي ، وقطع به الأكترون ، وصححه الرافعي في « الحرر » ، والمحققون : أنها لا تختص بوقت ، كما لا تختص بيوم . ومن قطع به صاحباً « الحاوي » و « الشامل » ونقله صاحب « الشامل » وصاحب « جمع الجوامع » عن نص الشافعي رضي الله عنه . وقال إمام الحرمين : لم أر التخصيص لغير الشيخ أبي علي . والله اعلم .

فصل

يستحب أن يخطف خطبتين بعد الصلاة ، وأركانها وشرايطها كما تقدم في العيد . لكن تخالفها في أمور .

منها : أنه يبدل التكبيرات المشروعة في أولها بالاستغفار فيقول : « أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه » . ويختم كلامه بالاستغفار ، ويكثر منه في الخطبة ، ومن قوله : (استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ...) الآية . نوح : ١٠ . ولنا وجه حكاه في « البيان » عن الحاملي : أنه يكبر هنا في ابتداء الخطبة كالعيد ، والمعروف الأول .

ومنها : أن يستقبل القبلة في الخطبة الثانية ، كما سذكروه . إن شاء الله تعالى .
ومنها : أنه يستحب أن يدعو في الأولى : « اللهم اسقنا غيثاً مغياً هنيئاً مريئاً مريئاً غداً مجلاً سحاً طبقاً دائماً ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ،

اللهم إن بالعباد والبلاد من الأواء والجهد والضحك ما لا نشكو إلا إليك ، اللهم
أنت لنا الزرع ، وأدر لنا الضرع ، واسقنا من بركات السماء ، وأنت لنا من
بركات الأرض ، اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعري ، واكشف عنا من البلاء
ما لا يكشفه غيرك ، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً ، فأرسل السماء علينا
مدراراً ، ويكون في الخطبة الأولى وصدر الثانية ، مستقبل الناس ، مستدير القبلة ،
ثم يستقبل القبلة ، ويبالغ في الدعاء سرّاً وجهرّاً ، وإذا أسر دعا الناس سرّاً ،
ويرفون أيديهم في الدعاء . وفي الحديث أن النبي ﷺ استسقى وأشار بظفر
كفيه إلى السماء . قال العلماء : السنة لكل من دعا لرفع بلاء ، أن يجعل ظفر
كفيه إلى السماء ، وإذا سأل شيئاً جعل كفيه إلى السماء .

قلت : الحديث المذكور ، في « صحيح مسلم » . والله أعلم

قال الشافعي رحمه الله : وليكن من دعائهم في هذه الحالة « اللهم أنت
أمرتنا بدعائك ، ووعدتنا إجابتك ، وقد دعوناك كما أمرتنا ، فأجبتنا كما وعدتنا ،
اللهم امن علينا بمغفرة ما قارفنا ، وإجابتك في سقينا وسعة رزقنا » . فاذا فرغ من
الدعاء أقبل بوجهه على الناس وحثهم على طاعة الله ، وصلى على النبي ﷺ ،
ودعا للمؤمنين والمؤمنات ، وقرأ آية أو آيتين ، ويقول : « أستغفر الله لي ولكم » .
هذا لفظ الشافعي رضي الله عنه . ويستحب عند تحوُّله إلى القبلة ، أن يحوّل
رداءه . وهل ينكسه مع التحويل ؟ قولان . الجديد : نعم . والتقديم : لا .
فالتحويل : أن يجعل ما على عاتقه الأيمن على عاتقه الأيسر ، وبالعكس . والتنكيس :
أن يجعل أعلاه أسفله ، ومتى جعل الطرف الأسفل الذي على شقه الأيسر على
عاتقه الأيمن ، والطرف الأسفل الذي على شقه الأيمن على عاتقه الأيسر ، حصل
التحويل والتنكيس جميعاً ، هذا في الرداء المربع ، فأما المقوّر والمثلث ، فليس
فيه إلا التحويل . ويفعل الناس بأرديتهم كفعل الامام تفاعلاً بتغيير الحاصل إلى
الحِصْب ، ويتركونها محوَّلة إلى أن ينزعوا الثياب .

قلت : قال الشافعي ، والأصحاب رحمهم الله تعالى : إذا ترك الإمام الاستسقاء ، لم يتركه الناس . ولو خطب قبل الصلاة ، قال صاحب « التتمة » : يجوز وتصح الخطبة والصلاة ، ويحتج لها بما ثبت في الحديث الصحيح الصريح في « سنن أبي داود » وغيره أن رسول الله ﷺ خطب ، ثم صلى . وفي صحيحي « البخاري » و « مسلم » أن رسول الله ﷺ خرج يستسقي فدعا ، واستقبل القبلة وحول رداءه ، ثم صلى ركعتين . قال أصحابنا : وإذا كثرت الأمطار وتضررت بها المساكن والزرع ، فالسنة أن يسألوا الله تعالى دفعه « اللهم حوالينا ولا علينا » .

قال الشافعي والأصحاب : ولا يشرع لذلك صلاة ، ويستحب أن يبرز لأول مطر يقع في السنة ، ويكشف عن بدنه ما عدا عورته ليصيه المطر ، وأن يغتسل في الوادي إذا سال ، أو يتوضأ ، ويسبّح عند الرعد والبرق ، ولا يتبع بصره البرق . والسنة أن يقول عند زول المطر : « اللهم صيأ نافعاً » رواه البخاري في « صحيحه » . وفي رواية ابن ماجه : « سيباً نافعاً » مرتين أو ثلاثاً ، فيستحب الجمع بينها . وقد أوضحت ذلك مع زوائد ونفائس تتعلق به في كتاب « الأذكار » الذي لا يستغني متدين عن معرفة مثله . ويكره سب الرياح ، فإن كرهها ، سأل الله تعالى الخير ، واستعاذ من الشر . وفي « صحيح مسلم » أن النبي ﷺ [كان] إذا عصفت الرياح قال : « اللهم إني أسألك خيرها ، وخير ما فيها ، وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها ، وشر ما فيها ، وشر ما أرسلت به » . ويستحب أن يقول بعد المطر : « مطرنا بفضل الله ورحمته » . ويستحب الدعاء عند زول المطر ، ويشكر الله تعالى عليه . ويكره أن يقول : مطرنا بنوء كذا ، فإن اعتقد أن النوء هو المطر الفاعل حقيقة ، كفر فصار مرتداً . والله أعلم

